

# إرهاصات التحول الطبقي الاجتماعي في اليمن العصر الوسيط

فيصل علي سعيد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل- القنيطرة-المغرب

[Fsaeed517@gmail.com](mailto:Fsaeed517@gmail.com)

DOI: <https://doi.org/10.56807/buj.v2i1.29>

## ملخص

عرفت اليمن خلال العصر الوسيط العديد من الإرهاصات التي كان لها تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة على مستوى التصنيف الطبقي الاجتماعي في هذا القطر، فالحروب السياسية والصراعات المذهبية وصراعات السلطة والمصالح صاحبها مجموعة من التحولات التي يمكن وصفها بإرهاصات تحولية على مستوى التصنيف الاجتماعي خلال هذه الحقبة التاريخية.

الكلمات الدالة: إرهاصات- التحول الطبقي- العصر الوسيط-اليمن

## Indications of social class transformation through the middle age in Yemen

### Abstract

Yemen has known a lot of inconstancy changes which have either direct or indirect impact concerning social classification in this country through the middle age. Political, religious conflicts beside conflicts for power and interests were accompanied with a group of transitions that we could describe as inconstancy changes at the level of the social classification through these historical period.

تمثلت بصغار الملاك وأصحاب الحرف والصناعات إضافة إلى طبقة العبيد التي كانت موجودة في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية.

وفي مراحل لاحقة، ونتيجة لأسباب وعوامل تاريخية اجتماعية ودينية وسياسية واقتصادية، حدثت تحولات وتغيرات أخرى في التركيبة الاجتماعية للمجتمع اليمني، تمثل أهم تلك العوامل بظهور الإسلام، والتحول الشامل الذي أحدثه في شبه الجزيرة العربية عموماً، واليمن على وجه الخصوص، الأمر الذي انعكس على التركيبة الطبقية في المجتمع اليمني، وتغيير ملامحها على نحو واضح، لاسيما في ظل الصراعات المذهبية التي كان لها دور بالغ الأهمية في تغيير منظومة الطبقات والفئات الاجتماعية في اليمن على طول فترة العصر الوسيط، والتي شهدت صراعات سياسية ومذهبية شديدة، على خلفية الصراع الديني-السياسي حول مسألة الإمامة- الخلافة، فكان ذلك نواة لمرحلة تحول طبقي ذي أبعاد مذهبية يحركها في الوقت ذاته التطلع للسلطة والحكم في هذا البلد.

مقدمة :عرف المجتمع اليمني كغيره من المجتمعات الزراعية تحولات اجتماعية عديدة وليس ذلك بغريب فاليمن منذ القدم بلد خصيب اشتهر بالزراعة وأقيمت فيه الممالك العظيمة التي سجل لها التاريخ حضور تنظيمي فقد خلدت العديد من النقوش كثير من الملوك العظام كأسعد الكامل وغيره ممن كان للزراعة في عصرهم شأن عظيم، فوجود تلك الممالك ساعد إلى حد كبير في تطور نظام الزراعة وبالتالي النظام الاجتماعي حيث عرف اليمانيون نظام السود لحجز مياه السيول والاستفادة منها منذ زمن بعيد، كما انشأوا السواقي والأفلاج لتوزيع المياه، ناهيك عن إقامة المدرجات الزراعية في الأقاليم الجبلية، التي تعتمد على الأمطار الموسمية.

على مدى قرون طويلة، عرف المجتمع الطبقات والفئات الاجتماعية المتعددة والمتباينة، فظهرت طبقة اقطاعية كبيرة كان لها شأن كبير تمثلت بالملوك والكهنة وقادة الجيوش ورجال الدين وكذا المختصين بإدارة الدولة، بينما كانت هناك طبقات أقل شأنًا

## مشكلة البحث:

الوصفي-، وذلك لرصد وتتبع المسار التاريخي لإرهاصات التحول الطبقي الاجتماعي في اليمن في العصر الوسيط، من خلال دراسة وتحليل المصادر التاريخية المتصلة بهذه الفترة، والمراجع والدراسات ذات الصلة.

## خطة البحث:

يتألف البحث من مقدمة، وثلاثة مطالب موضوعية، محددة على النحو الآتي:

### مقدمة

- **المطلب الأول:** طبيعة المجتمع اليمني وتركيبته الاجتماعية
- **المطلب الثاني:** إرهاصات التحول الطبقي الاجتماعي
- **المطلب الثالث:** الصراعات المذهبية على السلطة
- **خاتمة**

## المطلب الأول

### طبيعة المجتمع اليمني وتركيبته الاجتماعية

مرت اليمن بمسيرة أنثروبولوجي طويلة حتى وصولها إلى مرحلة الزراعة التي يمكن وصفها بمرحلة متقدمة ومتطورة في نمط العيش والتنظيم المجتمعي بشقيه المادي والثقافي وقد ساعدها في ذلك عدد من العوامل لعل من أبرزها البيئة الزراعية المناسبة التي وضعت اللبنة الأساسية في نشوء الممالك في هذا البلد ولم تكن الزراعة هي النشاط الوحيد للمجتمع لكنها النشاط الأكثر أهمية والذي تزامن مع عدد من الأنشطة المتكاملة معه خصوصاً وأن اليمن يتمتع بتنوع فريد في تضاريسه، كما يتميز بموقعه الجغرافي الهام على طريق تجارة البخور الأمر الذي ساعد على ظهور أنشطة متنوعة كان أبرزها الرعي والتجارة.

كانت الظواهر الطبيعية المرتبطة بالزراعة مصدر اهتمام المجتمعات الزراعية، كما كانت النجوم مقدسة وقد تربعت الشمس

تتمثل مشكلة البحث في الحاجة إلى تسليط الضوء على إرهاصات التحول الطبقي الاجتماعي في اليمن إبان العصر الوسيط، واستكشاف ما كانت عليه طبيعة البنية الطبقية للمجتمع اليمني في فترة ظهور الإسلام؟ وما هي إرهاصات التحول الطبقي الاجتماعي في اليمن في المراحل التالية لانتشار الإسلام من العصر الوسيط؟ وما هي آثار ذلك التحول وانعكاساته على تركيبية المجتمع اليمني خلال تلك الفترة؟

## أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من أهمية التحولات الطبقية التي شهدتها المجتمع اليمني في عصر ما بعد ظهور الإسلام من العصر الوسيط، لاسيما في ظل ارتباط تلك التحولات بالمتغيرات السياسية والاجتماعية والفكرية والمذهبية التي أحدثها انتشار الدين الإسلامي، واعتناق اليمنيين له في مرحلة مبكرة، فضلاً عن امتداد آثار تلك التحولات على مسار التاريخ الاجتماعي لليمن إلى يومنا الحاضر، الذي تعيش فيه اليمن واقعاً مريباً نتيجة الصراع السياسي القائم، والذي يعكس في مكنونه العميق آثار تلك التحولات الطبقية التي شهدتها اليمن في العصر الوسيط.

## أهداف البحث:

يهدف البحث بشكل رئيسي إلى رصد وتتبع إرهاصات التحول الطبقي الاجتماعي في اليمن في فترة العصر الوسيط، بالإضافة إلى التعريف بطبيعة المجتمع اليمني خلال تلك الفترة وبنيته الطبقية، والتحولات والإرهاصات الاجتماعية التي شهدتها تلك المرحلة، والفئات التي تأثرت بها، والعلاقات الاجتماعية التي تكونت عنها، وانعكاسات ذلك كله على التركيبية الطبقية للمجتمع اليمني في الفترة التاريخية موضوع الدراسة.

## منهج البحث:

لتحقيق أهداف البحث، اتبع الباحث المنهج التاريخي، بالإضافة إلى أسلوب تحليل المضمون- أحد أساليب المنهج

نشرها رغم أن الصراعات الحقيقية كانت بين القوى العظمى آنذاك- فارس وروما- في صراعها على المناطق الحساسة من الجزيرة العربية.

إن موقع اليمن التجاري جعلها منطقة صراع بين أصحاب النفوذ على مر التاريخ كالصراع الفارسي البيزنطي، إذ سعت كلا القوتين إلى السيطرة على اليمن، والحيلولة دون تمكن الآخر من أن يكون له أي نفوذ فيها أو عليها؛ وعندما جاء الإسلام ظل اليمن محتفظاً بصداقته في الموقع التجاري على مستوى الجزيرة العربية، وظهرت فئة من كبار التجار في كل من جیشان (الهمداني، د.ت، 219)، وعدن (الهمداني، 1977، 45\2، اليمنى، 1976، 182-183) وقد طالعتنا مصادر حول احتكار تجارة اللبان في ميناء ظفار (الحموي، د.ت، 60/4) ساعد في ذلك ما كانت عليه علاقة اليمن بشرق إفريقيا وجنوبها، والتي جعلت منها منطقة جذب واستقطاب تجاري واقتصادي بالغة الأهمية، لاسيما فيما يتعلق بتجارة الرقيق، التي كانت اليمن أحد أهم مراكزها وانتشارها في أنحاء الجزيرة العربية؛ فقد ساهمت هذه التجارة في تشكل طبقة اجتماعية ثالثة إلى جانب الطبقة الحاكمة والعامية في جميع أجزاء الجزيرة العربية بما فيها اليمن، كما ساهم ظهور الإسلام وانتشاره لاحقاً في تغيير وضع هذه الطبقة إلى الأفضل، حيث أتيح لهذه الطبقة الاجتماعية إمكانية التحول من وضعها الذي كانت عليه إلى أوضاع أخرى.

### البنية الاجتماعية:

لقد رسم طابع المعيشة الإطار الاجتماعي للمجتمع اليمني فهذا المجتمع الذي يعيش على الزراعة تميز بنمط من العلاقات الاجتماعية كونت البنية الاجتماعية حيث نجدها أكثر نضجا بعد الإسلام فقد شهد اليمن اندماجات سكانية متنوعة ساهمت في عملية تحول اجتماعية بنمط جديد، حيث نجد أن التنظيم الاجتماعي يشبه إلى حد كبير ذلك التنظيم الاجتماعي للمدن اليونانية القديمة، فالقبيلة في اليمن بأشكالها المتعددة (جواد، 1968، (2/1)، 369-401، 404-405) كانت النظام الاجتماعي الذي يتكون من عدة جماعات كانت تشكل أغلبها من طبقات هي بنيات أخوية في الغالب وليست ذات طابع جمعي

مكانة فريدة في حياتهم الروحية فكانت أهم معبوداتهم الدينية ناهيك عن كون الأنثى رمزاً للخصوبة وقد نبوت المرأة في المجتمع اليمني مكانة سامقة بعكس المجتمع القرشي في الحجاز المجاور، حيث يجد المتأمل في التاريخ اليمني القديم أن سهيلاً والشعري اليمانية والشمس كانت من أهم معبوداتهم القديمة إضافة إلى تقبل المجتمع للمرأة في القيادة والحكم، حيث نجد أن اليمن في فترة من تاريخ ممالكها كانت تسمى مملكة سبأ وقد حكمت من قبل امرأة اسمها الملكة بلقيس والتي كانت تعبد الشمس وقد أخبرنا التاريخ أسماء كثير من الملكات اللاتي حكمن في اليمن ويبلغ عددهن حوالي خمس ملكات، بيد أن ذلك تغير إلى حد كبير منذ بداية العصر الوسيط إذ انحسر دور المرأة كثيراً وتغيرت البنية الاجتماعية نتيجة الهجرات والحروب بين الدول والممالك القوية فنالت اليمن نصيبها من ذلك وتفككت إلى دويلات وتضاربت فيها المصالح لعدة أطراف.

لم يغير الإسلام بتعاليمه السمحاء التركيبة الطبقية للمجتمع اليمني ففي عهد الخلافة الراشدة والدولتين الأموية والعباسية ظلت الأوضاع القبلية كما هي عليه، حيث اكتفت العواصم الحاكمة بتعيين ممثلين لها في اليمن أطلق عليهم ألقاباً متعددة مثل: الولاة، الوزراء، الأمراء وظلت المناطق تحكم نفسها تحت رئاسة العشائر والقبائل القوية التي تخضع للدولة المركزية في مكة أو بغداد أو دمشق أو القاهرة، بيد أن التطورات السياسية في اليمن لاسيما الصراعات الدينية والمذهبية وتنامي نفوذ الزعماء المحليين وصراعاتهم فيما بينهم وكذا مع الدولة المحلية التابعة للخلافة كل تلك الأحداث لم تغير كثيراً من التركيبة الاجتماعية للمجتمع.

قد بينت النصوص الأثرية المكتشفة أن اليمن لم تعرف الاستقرار السياسي خصوصاً بعد تصدع سد مأرب حوالي 658م (نقش أبرهة، موقع نقوش الجنوب العربي) وما رافق ذلك من هجرات وتناحر على السلطة مما أدى إلى تعرض اليمن للغزو الخارجي، نتيجة لذلك التناحر الداخلي، ولعل من أبرزها الغزو الحبشي على اليمن عام 525م، والذي لم يكن وليد معركة واحدة، وإنما كان عدة مراحل وراؤها دوافع اقتصادية وسياسية لها غطاء ديني حجته الثأر للمسيحية المضطهدة، والعمل على حمايتها

حيث باتوا قلة قليلة بعد انتشار الإسلام في اليمن وقد ارتبطت هذه الفئة بعلاقة حماية بالقبائل القوية إلا أنهم خلافا لهاتين الفئتين لم يكونوا مجبرين على العمل في خدمة القبيلة بل كانوا أحراراً في اختيار الأعمال والمهن التي يشتغلون بها وغالبا ما انخرطوا بالأعمال الحرفية ، لاشك في أن قاعدة واسعة من الحرفيين والصناع والعمال قد برزت في اليمن في صدر الإسلام وبإطلاقة سريعة على أنواع الحرف والصناعات في اليمن مثل صناعة الأواني المعدنية والأدوات المنزلية وصياغة الذهب والفضة وصناعة الأسلحة وإعداد الطيب والعطور ، والعمل في جمع اللبان والبخور والورس ، وعمال البحر للحصول على اللؤلؤ والعنبر وصيادي السمك على الشواطئ اليمنية من عمان شرقاً حتى الليث غرباً (المقدسي، 101-102 ، الفلقشندي، 1951، 2/95) وجذبت حياكة الأقمشة ودباغة الجلود أعداداً كبيرة من الحرفيين (ابن عبد ربه، 3/ ، 251 ، المسعودي، 2005، 2/164) ومارس آخرون مهنة التعدين وخاصة الرضراض ، حيث مارس الكثير وأغلبهم من الأبناء استخراج الفضة (الهمداني الجوهريتين/45-47) ومارس حرفيون لأم الأواني المعدنية الشعابة (الأصبهاني، 17/52) وصل الجواهر (الفلقشندي، 1951، 2/98) ، وصهر الحديد ومعالجة المعادن الثمينة (الحموي، 3/53، الزبيدي، 1966، 9/371)

وفي العصر الحديث لازالت هناك طبقة من اليمنيين يوصفون بالمهشمين ولا زالوا يؤدون الجزية ليست مالا وإنما خدمات يقدمونها للقبائل مقابل الحماية، وهذه الطبقة لا تشارك في حروب القبيلة ولا في الدفاع عنها.

وأغلب هؤلاء المهشمين ينحدرون من أصول أفريقية، من ذوات البشرة السمراء، وهذه الطبقة موزعة في جميع أجزاء اليمن ويصل عدد أفرادها إلى ما يربو على ثلاثة ملايين شخص حسب الإحصائية الرسمية، و يعمل أغلبهم في النظافة، و تتجمع هذه الفئة في مناطق سكنية معزولة يطلق عليها اسم (المحوى) لا يدخلها سواهم.

فوحدة التعامل هي العائلة وليس الفرد وملكية المراعي والموارد الطبيعية هي ملكية جماعية والزواج ليس علاقة عاطفية فحسب بل يترتب عليه علاقة نسب أيضا بين عشيرتين.

نُظمت العلاقات الاجتماعية في اليمن وفقا لعدد من قواعد الدمج والاستبعاد طبقا لتركيب القبيلة الذي كان يتكون من عدة جماعات مكانة هي الملوك ،الأدواء ،رجال الدين ، حيث كانت المشاركة في اتخاذ القرارات العامة مقصورة على رجال القبيلة دون غيرهم، وبالتالي فإن القبيلة اليمنية كانت تشكل بنية إدماجية ذات طابع بطريركي على مستوى كل جماعة/قبيلة على حدة، مع بعض الحضور لدور المرأة منذ القدم وقد ذكر ذلك القرآن الكريم ؛ إذ كان لكل قبيلة ديوان - لازل حتى يومنا هذا-، تتمثل مهمته في الوساطة بين القبيلة والدولة إلى جانب كونه مجالاً للتداول حول القضايا العامة للقبيلة، واتخاذ القرارات المتعلقة بإدارة الموارد الطبيعية وتسوية الخلافات بين العائلات والعشائر حيث يتم اتخاذ القرار عبر التوافق بين أبناء القبيلة جميعهم ومع خصوصهم أيضا إذا تعلق الأمر بذلك.

#### الفئات المهشمة:

كان لموقع الأفراد في القبيلة اليمنية و ملكيتهم للموارد دور كبير في تحديد العلاقات الاجتماعية وما يترتب على ذلك من إقصاء أو إدماج في عملية صناعة القرار المتعلقة بشؤون القبيلة، فالفئات الاجتماعية التي تمتلك الأرض الزراعية تعتبر فئات اجتماعية رئيسة وتحتل مكانة اجتماعية هامة أما الجماعات التي لا تمتلك أرضا زراعية هي في الغالب جماعات مهشمة تحتل مكانة هامشية في البنية الاجتماعية للقبيلة وكانت هذه الفئة في الغالب من الأخدام وهم بقايا الجيش الحبشي الذي احتل اليمن بالإضافة إلى أبناء الخمس وهم أسرى الجيش الفارسي من أبناء الساسانيين الذين قدموا لتخليص اليمن من الأحباش.

لقد أسندت إلى الأخدام وكذا أبناء الخمس الأعمال الخدمية في القبيلة إلى جانب ذلك كانت هناك أيضا فئة مهشمة أخرى إلى جانب هاتين الفئتين وهذه الفئة أطلق عليها اسم أهل الذمة وكانت تضم أقلية دينية يهودية ينحدرون من أصول يمنية

## المطلب الثاني

## إرهاصات التحول الطبقي الاجتماعي

اجتماعي كل هذا كان له أثر كبير في التحولات الاجتماعية التي مر بها المجتمع اليمني على مر العصور إلى يومنا هذا.

إن الطابع القبلي لليمن وما واكبه من إرهاصات كان له أثر بارز أنعكس على طبيعة التحولات الاجتماعية خصوصاً على النوع الاجتماعي حيث خضعت النساء لقمع بطريكي ذكوري سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي حيث إن سلطة الدولة في المجتمع اليمني هي سلطة على المواطنين الذكور فيما كانت السلطة على المواطنين الإناث خاضعة للعائلة والقبيلة أي أن التنظيم الخاص كان يتم وفقاً للعرف القبلي ومن ذلك الزواج فهو شأن عائلي أكثر منه شأن فردياً وغير ذلك حتى أن مشاركة المرأة في الشأن العام رهينة موافقة الرجل على ذلك.

وبشكل عام لقد كان للقبيلة دور بارز في تغييب دور الدولة المدني، حيث كانت القبيلة هي الضامن للحقوق وكان ولا يزال ديوانها هو ساحة التعبير عن الرأي، فالقبيلة هي المعنية بالدفاع عن الأفراد كما تفصلت في الدولة مما أثر على الدولة التي لم تعد قادرة على الاضطلاع بوظائفها بل إن ذلك أضفى عليها ملامح العشوائية والتسلط كما أثر ذلك على القبيلة أيضاً التي لم تستطع المحافظة على طبيعة بنيتها وعلاقتها بالمواطنين كل ذلك شكل إرهاصات في عملية التحول الطبقي الذي كان مدفوعاً في العديد من حالاته بصراع مذهبي هدفه السلطة.

## المطلب الثالث

## الصراعات المذهبية على السلطة

شكلت الصراعات المذهبية في اليمن منذ بواكير اللحظات الأولى لوفاء الرسول الكريم نواة تحول طبقي لصالح أقليات طائفية تحركها دوافع سياسية دارت رحى صراعاتها حول توجهات فكرية، تمثلت بالصراع بين الهاذوية الزيدية الذين مثلوا طبقة السادة - كما بات يطلق عليها في العرف الاجتماعي اليمني - من جهة، وبين اليمانية الذين مثلوا الطبقة الكادحة من قبائل وفلاحين، وبالرغم من القواسم المشتركة بين هاتين الطبقتين، إلا إن الاستحواذ على الحكم والسلطة ظل هو محور الصراعات السياسية والمذهبية، ما جعل منها أحد أهم العوامل التي ساهمت في ترسيخ معالم التحول

لعل المعضلة الكبرى التي مر بها المجتمع اليمني خلال مرحلة التحولات الطبقيّة كان المؤثر البارز فيها هي القبيلة سواء في شمال اليمن أو جنوبه فقد تعايشت الأنظمة التي حكمت اليمن مع نظام القبيلة حتى العصر الحديث وظلت العلاقة ضبابية بين الدولة والقبيلة في كثير من الحقب التاريخية ووصل الأمر إلى تفصل القبيلة بالدولة وتقاسمها السلطة معها وبالتالي تنازلت الدولة عن بعض وظائفها لمصلحة شيوخ القبائل لذلك بات قادة الأنظمة بحاجة إلى القبيلة لأن بقاءهم في السلطة يعتمد عليها وقد عمل شيوخ القبائل في كثير من الأحيان على خلق الأزمات والصراعات السياسية وتوتير العلاقة بين الدول والمجتمع وقد أدمجت معظم الأعراف القبليّة في البنية التشريعية الذي كرس مثل تلك الأعراف، كما تمكن شيوخ بعض القبائل من شغل مناصب سياسية وقد تحول أولئك إلى إقطاعيين في العديد من المناطق وبرز التمايز الاجتماعي بين الشيوخ وأبناء القبائل في كثير من المناطق طبقاً للمناصب التي يشغلها أبناء تلك القبائل في الدولة إلا أن ذلك ساهم في عملية تحول طفيفة بين الطبقات خصوصاً على مستوى الطبقات العليا والمتوسطة في المجتمع اليمني.

لم تكن القبيلة تمتلك رؤية استراتيجية أو برنامجاً للتغيير السياسي، حيث كانت أغلب مطالب القبيلة من السلطة مطالب رجعية حيث كانت تمارس القبيلة عدداً من الآليات للضغط على الحكومة لتنفيذ متطلباتها ومن ذلك تدمير الممتلكات العامة والتمرّد المسلح والاختطافات وقطع الطرق وغيرها وهكذا كانت تتضارب المصالح وبالتالي أصبحت هناك العديد من الاختلالات في منظومة الدولة وتشكلت سلطات غير رسمية فيها منها اللجان العليا ولجان الوساطة والمصالحة والتحكيم وغيرها والتي كانت تشرف عليها شخصيات قبيلة ذات نفوذ في الشأن المحلي كما أصبح المسؤولون في الحكومة لا يتصلون بالمواطن إلا عبر شيخ القبيلة ومن هنا أصبح للقبيلة جانبان أحدهما سياسي والآخر

اليهودية كالجزارين والحلاقين والخياطين والحدادين وغيرهم، حيث تأتي طبقة السادة ويمثلون أعلى الهرم الطبقي ويدعون أنفسهم بالانتساب إلى بني هاشم وهم بطون في اليمن فبعضهم يدعي نسبه للرسول مباشرة وآخرين إلى أهل بيته وأبناء هذه الفئة مميزون في الغالب بتولي الوظائف الهامة في الدولة، كما أن هناك تمايزاً في العلاقات بين الطبقات وهي هرمية فأبناء الطبقة المتوسطة لا يحق لهم الزواج من بنات الطبقة العليا أو الدنيا والعكس صحيح غير أن المصالح الاقتصادية ومصالح السلطة المتمثلة في تدخل القبيلة بسلطة الدولة نشأ عنها إرهابات من التحولات الطبقيّة خصوصاً على مستوى الطبقتين العليا والمتوسطة حيث أصبح من الممكن التداخل بين الطبقات عن طريق الزواج أو غيره الغرض منه كسب تحالف معين أو الحصول على مصلحة اقتصادية لكنه في الوقت نفسه خلق تمايزاً طبقياً على مستوى الطبقات المتوسطة طبقاً لدور كل قبيلة وحصتها من الثروة فأصبحت هناك قبائل قوية تمتلك السلطة والمال بينما أخرى لا تمتلك مثل تلك المميزات مما جعلها تتدنى في نظر القبائل القوية باعتبارها طبقات اجتماعية ليس لها شأن.

تقوم العلاقة بين الطبقات على أساس الاستغلالية والمصلحة فالطبقة العليا في الهرم تستغل الطبقات الأدنى منها وقد تنشأ علاقات الزواج بين الطبقات المتوسطة والعليا إذا كان لها مصلحة لكن ذلك نادر الحدوث وقد ساهم الإرث الاجتماعي المتراكم عبر السنين على توطيد ذلك التمييز، كما ساهمت الأمية الصرفة وكذلك الأمية الفكرية المصبوغة بطابع المذهبية لفئة من المتعلمين أيضاً في استمرار تجذّر هذا التمييز يوماً بعد يوم حتى وقتنا الراهن ولا يمكن نسيان دور التعدد الحزبي في اليمن في العصر الحاضر في إنكفاء نوع من التمييز الطبقي الذي يقسم المجتمع إلى طبقات وفقاً للمصلحة الاقتصادية المتعلقة بالثروة تحت مظلة المواطنة غير أن هذا النوع من التعدد يسمح بالحراك الاجتماعي الذي ينتقل فيه الفرد من طبقة دنيا إلى طبقة عليا طبقاً للسلطة التي يتمتع بها الحزب في الدولة وعلى عكس ذلك بالنسبة للتعدد الفئوي الذي يقسم المجتمع إلى طبقات طبقاً لمعايير وراثية

الطبقي الجديد؛ فالقداسة المفردة التي كان يضيفها أتباع المذهب الهادي على الأئمة- من طبقة السادة: المنحدرون من سلالة النبي- باعتبارهم الفئة المصطفاة والتي لا تكون الإمامة إلا لهم، ما جعل من هذه الفئة تميل إلى الانغلاق على نفسها، والمحافظة على نقاتها السلافي من خلال حصر علاقات الزواج بين الأفراد المنتمين للسلالة نفسها، كوسيلة لتعزيز وترسيخ ما يصفونه بشكل أو بآخر بأنه حقهم في الولاية أو الإمامة كرديف لمصطلحي الحكم والسلطة؛ وبالفعل تمكنت هذه الفئة من حكم اليمن ردحا من الزمن، وإن لم يكن ذلك بشكل متصل، أو شاملاً كل أرجاء اليمن، بسبب الثورات المتتالية التي كانت تنتفض ضد حكمهم، وآخر تلك الثورات كانت في بداية الستينيات من القرن العشرين والتي قامت ضد حكم الأئمة، ولعل النعرات الطائفية والمذهبية والسلاوية، القبليّة التي عادت للظهور مجدداً اليوم، تأتي امتداداً لتلك التحولات الطبقيّة نفسها التي شهدتها اليمن طوال العصر الوسيط.

الجدير ذكره هنا هو تواجد أقلية يهودية تشكل طبقة اجتماعية في اليمن منذ القدم غير أن الإقصاء المجتمعي لمثل هذا الطبقة جعل منها طبقة يمكن اعتبارها هامشية ويعتبرها المجتمع في إطار الطبقات الدنيا والأقرب إلى طبقة المزاينة التي تتشكل من الحرفيين الحلاقين والحدادين والجزارين فأبناء هذه الطبقة منعزلة تماماً على نفسها ولا يوجد منها أدنى منها في نهاية الهرم إلا طبقة المهشمين ذوي الأصول الإفريقية السمراء الذي يطلق عليهم السكان مصطلح الخدم، ولكن مع مرور الزمن هاجر كثير من اليهود من اليمن خصوصاً مع قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين ولم يتبقى منهم إلا مجموعة بسيطة جداً لا تكاد تذكر.

يشير العديد من الباحثين ومنهم (الشرجبي، 2009، 136-230)، إلى أن التمييز الطبقي في اليمن يختلف من محافظة إلى أخرى والذي كان نتيجة تراكمات على مر السنين حتى أن النصوص الدينية لم تستطع إلغاؤها بسبب الرغبة المجتمعية في ترسيخها وعادة ما يقسم الناس في اليمن إلى طبقة عليا تسمى سادة، ومتوسطة تتمثل بالقضاة والمشايخ والفلاحين، وطبقات دنيا تتمثل بالمهمشين والمزاينة وهم أصحاب المهن

عكسته الصراعات الطبقية والمذهبية التي ظلت محتدمة في اليمن طوال فترة العصر الوسيط في ظل التقسيم الفئوي والطبقي نفسه، والذي مازال قائماً إلى اليوم.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. الهمداني . أبو محمد الحسن بن يعقوب، (1977م) ، الإكليل ج2، تحقيق محمد بن علي الأكوغ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد.
- \_\_\_\_\_ صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوغ الحوالي، مكتبة الارشاد، صنعاء
- \_\_\_\_\_ الجوهرتين المائعتين من الصفراء والبيضاء ، تحقيق ودراسة أحمد فؤاد باشا،
2. اليمني . عمارة، تاريخ اليمن (1976م) ،المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأبائها ، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوغ الحوالي ط2.
3. المسعودي .أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (2005)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج2،اعتنى به وراجعته ،كمال حسن مرعي المكتبة العصرية صيدا، بيروت ط1.
4. القلقشندي . الشيخ أبو العباس أحمد، (1951) صحیح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2، حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية ، طبع بالمطبعة الأميرية ،القاهرة.
5. الزبيدي. أبو الفيض ،محمد بن محمد، (1966)، تاج العروس في جواهر القاموس ، مطابع دار صادر بيروت ،دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي.
6. الحموي. الإمام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ج3، دار صادر بيروت .
7. ابن عبد ربه . الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي العقد الفريد ج3، تحقيق ،عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية بيروت\_لبنان.
8. الشرجبي. عادل مجاهد وآخرون (2009)، القصر والديوان، المرصد اليمني لحقوق الإنسان بالتعاون مع معهد الدراسات الدولية كندا، صنعاء.
9. جواد. علي، (1968) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج1-2، دار العلم للملايين، بيروت
10. المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي المعروف بالبيشاري ، (1877)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج1، ط1 بريل ليد.

ومذهبية وغيرها وبذلك يمكن اعتباره أحد إرهاصات التحول في التشكيلة الطبقية الاجتماعية للمجتمع اليمني.

إن العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية خلال العصر الوسيط في اليمن شكلت إرهاصات تحولية على مستوى التصنيف المجتمعي للطبقات في هذا القطر؛ فالطبقات الاجتماعية لا زالت تتسع هوتها ليس على مستوى ترتيب الطبقات، بل في إطار الطبقة ذاتها رغم ما وصل إليه الإنسان من مدنية وتحضر ويعزى ذلك إلى قلة الوعي المجتمعي وهذا مؤشر خطير يقف حجر عثرة أمام تحول طبقي يقوم على أساس المواطنة ويكون فيه أبناء الوطن الواحد متساوون في الحقوق والواجبات وتجمعهم دولة مدنية قوية.

### خاتمة:

في ضوء ما تقدم، تبين أن المجتمع اليمني ، في تاريخه الاجتماعي والاقتصادي قد شهد العديد من الإرهاصات الدينية والسياسية والاقتصادية التي أفضت إلى حدوث تحول مركب في بنيته وتركيبته الطبقية، تمثلت أبرز معالمه في ظهور فئات وطبقات جديدة، وسيادة طبقات وانحطاط طبقات أخرى على أسس عرقية أو مهنية أو مذهبية، أهمها ظهور طبقتي "السادة، شيوخ القبائل"، والفئات المهمشة على أسس مهنية كالمزبنة والجزارين والخياطين والحدادين وغيرها، فضلاً عن تهميش فئة "الأخدام"- السكان من ذوي الأصول الأفريقية.

كما تبين أن معظم ملامح التحول الطبقي الذي طرأ على المجتمع اليمني في العصر الوسيط هي في الأساس مما لا يمكن اعتبارها نتاجاً مباشراً لتعاليم الإسلام، بقدر ما هي في حقيقة الأمر مخالفة لتعاليمه، بل ومتصادمة تماماً مع مقاصده وغاياته الشمولية، وبالرغم من ذلك يمكن عزو تلك التحولات إلى الطرق المختلفة التي اتبعتها المذاهب والجماعات الدينية في تفسير المرجعيات الأصلية للدين الإسلامي، وتوظيفها لخدمة أهداف وأغراض عرقية ومذهبية ذات طابع اجتماعي وسياسي تحقق مصالح الفئات الحاكمة والمالكة وطبيعة الظروف التي عرّض إليها ذلك التحول في سياقه التاريخي إلى وقتنا الحالي ، الأمر الذي

26. شرابي. هشام، (1987)، *البنية البتركية: بحث في المجتمع العربي المعاصر*، دار الطليعة، بيروت.
27. الشرجبي. قائد نعمان، (1986)، *الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني*، دار الحداثة للطباعة والنشر بالتعاون مع مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1.
28. العامري. وليد أحمد، (2006م)، *الطبقات الاجتماعية في الممالك اليمنية القديمة*، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية التربية - جامعة تعز.
29. ياسر. عبده حمود، (1998) *التصنيفات الفنية في الجمهورية اليمنية في العصرين القديم والوسيط*، مذكرة ماجستير غير منشورة كلية التربية - جامعة الحديدة.

11. الاصبهاني ، ابو نعيم احمد بن عبدالله بن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران ،(1988)، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، تح. مصطفى عبدالقادر عطا ج1 دار الكتب العلمية

#### مراجع إضافية

12. الماوري. خديجة عبد الله، (2003)، *السلطة المحلية والتقليدية في اليمن*، مطابع المتفوق، صنعاء.
13. السياغي. خالد محمد حمود، (2006)، *الفئات الهامشية في المجتمع اليمني ورهان الحراك الاجتماعي للتنمية*، مداخلة في الندوة الوطنية لحقوق الإنسان، مكتب المفوضية العامة للأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو، صنعاء.
14. درش. بول، (د.ت)، *القبيلة والديمقراطية في اليمن*، ترجمة علوي السقاف، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، دار الأفاق، صنعاء.
15. ابن رسته. أبو علي أحمد بن عمر بن رسته، (1893م) *تاريخ كتاب البلدان*، أحمد ابن أبي يعقوب بن واضح الكاتب البغدادي، مطبعة بریا ، ليدن.
16. إبراهيم. سعيد الدين، (1988)، *المجتمع والدولة في الوطن العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
17. الشامي. أحمد، (1985)، *رياح التغيير في اليمن*، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ط2.
18. تاج الدين. عبد الباقي عبد المجيد، (1985)، *تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن*، تحقيق مصطفى حجازي، دار العودة، بيروت.
19. الغنطوسي. عبد الرحمن إبراهيم، (2015) ، *محمود نجلاء محمد ، غزو الأحباش لليمن بين الرواية التاريخية والأثار المكتشفة*، دار البداية، الأردن، ط1.
20. البردوني. عبد الله، (1991)، *الثقافة والثورة في اليمن*، مطبعة الكتاب العربي، دمشق.
21. عبدالواسع. يحيى، (1982)، *تاريخ اليمن*، دار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط3.
22. الشميري. عبد الولي، (1995)، *1000 ساعة حرب*، مكتبة اليسر، صنعاء، ط3.
23. الجرافي. عبد الله عبد الكريم، (2004) ، *المقطف من تاريخ اليمن*، منشورات العصر الحديث، بيروت.
24. محمد. عبد القادر، (1987)، *العربية السعيدة*، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.
25. الأكوغ. محمد علي، (1971) ، *اليمن الخضراء مهد الحضارة*، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى.